الجامعة المستنصرية المرحلة الأولى / الدراسة الصباحية

كلية الآداب المادة : علوم القرآن

قسم اللغة العربية الدكتور: إسماعيل عباس حسين

المحاضرة الحادية عشرة ( أشهر كتب علم الناسخ والمنسوخ )

 إذا نظرنا في المؤلفات التي أفردت موضوع الناسخ والمنسوخ استقلالا، على غرار: كتاب (الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن) لأبي عبيد القاسم بن سلّام ، وكتاب (الناسخ والمنسوخ) لأبي جعفر النحاس ، وجدنا أنها عنيت بالتتبع الاستقرائي للآيات التي حصل فيها النسخ، ودراستها تفسيرا، وكذلك عرض الخلاف والتوصل إلى الراجح في حصول النسخ من عدمه، وإن كانت تلك المؤلفات تتمايز وتتفاوت في اهتمامها ببعض القضايا الأخرى ؛كاهتمام بعضها بقضية الأسانيد عند عزو الآراء في ثبوت النسخ أو عدمه لقائليها. ومن هنا يمكن القول بأن المؤلفات الخاصة بالناسخ والمنسوخ هي أشبه ما يكون بتفاسير خاصة بالآيات التي عرض لها النسخ، إلا أن تلك المؤلفات اهتمت بجانب النسخ أكثر من اهتمامها بالجوانب التفسيرية الأخرى كبيان معنى المفردات القرآنية أو الحديث حول القراءات... إلخ، كما أن تلك الكتب المستقلة في غالبها لمُ تعن بالجانب النظري من جوانب النسخ كتحقيق معنى النسخ الاصطلاحي، والفرق بينه وبين التخصيص وشروط النسخ ونحوها. ومن خلال الاطلاع على هذه المصادر يمكن التعرف عليها

1- " الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن" تأليف : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، ت 224 هـ. ولد في مدينة هرات بأفغانستان سنة 157 هـ ، عالم لغة وفقيه ومحدث وإمام من أئمة الجرح والتعديل ، وترك عدد من الكتب أشهرها «الغريب المصنّف» و«غريب الحديث» إضافة إلى كتاب «الأموال» الذي يعد من أمهات الكتب في الاقتصاد الإسلامي. وكتاب الناسخ والمنسوخ يعد أفضل ما كُتب في موضوع النسخ في القرآن الكريم من العلماء المتقدمين، وقد بيَّن فيه معنى الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم وكذا السنة النبوية، ثم ذكر الآيات الناسخة والآيات المنسوخة، كما ذكر الناسخ والمنسوخ من الأحاديث النبوية الشريفة.

2- كتاب "الناسخ والمنسوخ" تأليف : أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس المرادي ، نحوي مصري، ولد بالفسطاط وأخذ النحو عن مشايخها، ثم رحل إلى بغداد وأخذ عن الزجّاج والأخفش الأصغر والمبرد. وبعد رجوعه من العراق، تصدر النحاس حلقة النحو بالجامع العتيق بالفسطاط، ت 338 هـ. هذا الكتاب يعتبر من أفضل ما وصل إلينا من الكتب المتقدمة في علم النسخ. وقد أجاد مؤلفه، رحمه الله، في عرض الآيات الناسخة والمنسوخة حيث أثبت ما ادعى فيه النسخ وعكسه بذكر الأسانيد غالبا، ويقوم بترجيح دعوى النسخ أو الإحكام حينا، وهو كثير ويقف موقف المحايد حينا آخر. وذلك إذا وجد ما يرجح إحدى الطرفين أو يؤيد كليهما. طبع هذا الكتاب بمصر سنة 1323هـ.

3- كتاب "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه" تأليف : مكى بن أبى طالب المغربي القيسي (ت ٤٣٧هـ) ولد في مدينة القيروان سنة 355 هـ. من أبرز مؤلفاته :مشكل إعراب القرآن. والإبانة عن معاني القراءات. وكتاب الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، ويمكن القول بأنه أول من جمع بين الجانب النظري التأصيلي لموضوع النسخ ، والجانب الاستقرائي التطبيقي بصورة منهجية واضحة ناضجة، وذلك في كتابه (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه ) فاسم الكتاب معرب عن ذلك الجمع بين الجانبين، وهو ما صرح به المؤلف في مقدمة كتابه، حيث قال: " ولما ظهر لي ما في هذا العلم من الفائدة والمنفعة، وما بطالب العلم والقرآن والحديث إليه من الحاجة، تتبعت أكثر كتب المتقدمين في علم الناسخ والمنسوخ، مما لي فيه رواية أو إجازة فجمعت في هذا الكتاب ما تفرق في كتبهم، ولم يحتو عليه كتاب واحد منهم، وما تباين فيه قولهم، واختلفت فيه روايتهم، ثم تتبعت كتب أهل الأصول في الفقه، فجمعت فيه منها مقدمات في الناسخ والمنسوخ، وقد أغفلها أو أكثرها كل من ألف في الناسخ والمنسوخ فهي أصول لا يستغنى عنها".

والنظر والقراءة في مقدمات الناسخ والمنسوخ التي ذكرها في أول كتابه يدل على ذلك الاهتمام ويشهد على النضج في الجمع بين الجانبين النظري والتطبيقي لموضوع النسخ، وإن كانت طريقته في ذكره لكثير من القضايا الأصولية في تلك المقدمات لم تكن على طريقة الأصوليين في بحثهم لها، من حيث عرض المسائل والاستدلال ومناقشة المخالفين، وإنما كان يذكرها على سبيل الإيجاز والاختصار؛ لأجل أن يبني عليها كثيرا من اختياراته وترجيحاته في وقوع النسخ أو عدمه في كثير من الآيات، محيلا إلى كلام الأصوليين فيها في عدة مواضع بعد الإشارة إليه بإيجاز. ويكفي القول بأن تلك المقدمات التي ذكرها في أول الكتاب، والتي حوت جملة كبيرة من القضايا التأصيلية استغرقت قرابة ستين صفحة، لم يسبقه إليه النحاس ولا ابن سلام ولا غيرهما.

ومن المعاصرين من ألّف في الناسخ والمنسوخ، ولعل أهمها:

1 - «النسخ في القرآن الكريم» للدكتور مصطفى زيد، طبع بمصر سنة 1963 م. الأستاذ بقسم التفسير بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية ، وهو كتاب جدير بالذكر والاهتمام، وقد تصدى فيه المؤلف لعرض الآيات المدعى عليها النسخ، وناقشها مناقشة جدية مفيدة مع ذكر الأدلة بالأسانيد، وقام برد وقائع النسخ التي لم تثبت عن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تنقل عن الصحابة بسند صحيح، وأبدى أثر كل آية وجهة نطره في دعوى النسخ حتى وصل إلى نهاية المطاف فعين بابا خاصا في وقائع النسخ في القرآن الثابتة بالأدلة الصحيحة وحصرها في ست آيات فقط.

2 - كتاب "فتح المنان في نسخ القرآن" تأليف : علي حسن العريض. مكتبة الخانجي بمصر 1973 م. مفتش الوعظ في الأزهر، وهو وإن لم يعالج الموضوع بشكل واسع وشامل إلا أنه عرض موضوع النسخ عرضا تاريخيا نقديا ثم أورد في نهاية البحث بعض الآيات المدعى عليها النسخ فنقض معظمها بما يدعم رأيه مشيرا بذلك إلى أن معظم ما ادعى فيه النسخ في القرآن دعوى بلا دليل .

3- كتاب "نظرية النسخ في الشرائع السماوية" تأليف الدكتور شعبان محمد إسماعيل المدرس بجامعة الأزهر وقد عالج موضوع النسخ في كتابه كنظرية فقط، ولم يتعرض لمناقشة قضايا النسخ في آية أو حديث من حيث الوقوع أو عدمه بل اكتفى بعرض أقسام سور القرآن باعتبار وجود النسخ فيها ثم نقل عن السيوطي الآيات التي يراها منسوخة في الإتقان.

4- كتاب "النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه" تأليف الشيخ عبد المتعال الجبري، وقد تصدى فيه مؤلفه إلى إنكار جميع وقائع النسخ في الإسلام، وهو رسالة صغيرة الحجم، ومن أبرز عناوينه:

1- لا منسوخ في القرآن، ولا نسخ في السنة المنـزلة. 2- أبدع تشريع قيل أنه منسوخ.

يناقش فيه بعض وقائع النسخ فينقض، وينكر وقوعه في القرآن زاعما: أن فيه نسبة للجهل أو التجهيل لله سبحانه وتعالى وهو منـزه عن ذلك كأنه في ذلك أراد أن يتبع مسلك أبي مسلم الأصفهاني -إن صح عنه ذلك- حيث قيل: إنه كان يرى جواز النسخ عقلا وينكر وقوعه سمعا، وقد أورد جماعة خلاف أبي مسلم بأنه كان خلافا لفظيا فقط، فقال ابن دقيق العيد: نقل عن بعض المسلمين إنكار النسخ، لا بمعنى أن الحكم الثابت لا يرتفع، بل بمعنى أنه ينتهي بنص دل على انتهائه، فلا يكون نسخا .